

التجربة السودانية في التعريب

منتحى حسن المصرى

رئيس وفد جمهورية السودان

بالا يكون للمروبة اثر جنوب مصر استطاع المواطنون ان يحافظوا على دينهم وعلى لغتهم العربية بفضل خريجهم من الازهر الشريف وبفضل الجهد المصرى بشكل عام . . . وبمرور السنين ازداد عدد الخلاوى القرآنية وانشئت المدارس الحكومية . وكان التعليم فى هذه المدارس او الكتاتيب كما كانت تسمى آنذاك باللغة العربية . ولم يحاول الانجليز قط ان يدخلوا لغتهم فى هذه المرحلة التى كان الطالب يبقى فيها حتى عمر الثانية عشر . ويبدو ان احجام المستعمرين عن ادخال لغتهم فى الكتاتيب يرجع الى ميل البريطانى الطبيعى الى الحرص على المال والبعد عما يتطلبه ذلك من اموال باهظة لم تقو الحكومة على جمعها . اما اللغة الرسمية لدواوين الحكومة فكانت اللغة الانجليزية كما كان التعليم الذى يعمل المستعمرون على تحقيقه هو القدر الكافى لتسيير دفة الحكم لا اكثر . ولذلك ادخلوا لغتهم فى المرحلة الوسطى التى كانت تمتد من الثانية عشر الى السادسة عشر من عمر التلميذ . كان فيها حظ اللغة الانجليزية ثلاث عشرة حصة اسبوعيا وللعربية تسع فقط . وتلت المرحلة الثانوية وفيها كان الطالب السودانى يتلقى كل مواد دراسته باللغة الانجليزية ما عدا الدين واللغة العربية . واستمرت هذه الحال حتى تحقق الاستقلال السياسى للسودان عام 1956 م . وكانت رغبة السودانيين فى التعريب او قل فى الاستقلال الثقافى

بسم الله الرحمن الرحيم

يختلف السودان عن بقية الدول العربية فى تاريخه السياسى وفى تكوينه السكانى ونتيجة لذلك واجهت السودان مشاكل عديدة نبذل الآن كل ما فى وسعنا للتغلب عليها . فالسودان فى تاريخه السياسى تخلص من الحكم التركى العثمانى بقيادة السيد محمد احمد المهدي عام 1885 م ولكن بريطانيا العظمى آنذاك قادت جيشا مصرى واعادت غزو السودان عام 1898 م وابتكرت لاجل الوصول الى غايتها الاستعمارية عبارة الحكم الثنائى فى القابوس السياسى بمعنى انها تشترك مع مصر فى حكم السودان ولكنها فى واقع الامر تنفرد باستعمار الديار السودانية . ولم تشرك مصر فى الامر الا لاكتساب مشروعية هذا الاستعمار الذى استمر حتى عام 1956 م .

فى هذه الفترة عملت بريطانيا جاهدة لتفصل شمال السودان عن جنوبه ثقافيا . فاعتبرت كل اقاليم الجنوب مناطق مقفولة على الشماليين لا يستطيعون الوصول اليها الا باذن خاص من المفتش البريطانى ، واطلقت بريطانيا فى الوقت نفسه ايدى الكنائس والبعثات التبشيرية لتعمل فى نشر الدين المسيحى وتعليم الجنوبيين تعليما كنسيا اوليا بما لا يتعدى محو الامية فيهم .

اما فى شمال السودان . فرغم محاولة الاستعمار

تسر جنباً لجنب مع رغبتهم في التخلص من الحكم الاجنبى وذلك دليل على انهم كانوا يرون سيادة اللغة الانجليزية في بلادهم وجها آخر للاستعمار نفسه ، لا يتم التخلص من احدهما مع بقاء الآخر . . . ولذلك بدأوا في تنفيذ فكرة التعريب فور حصولهم على الاستقلال . فبدأوا بعلم الجغرافيا والتاريخ ، وكان من المسموح للطلاب ان يجيب على اسئلة الامتحان باحدى اللغتين فترة من الزمن ، وبعد قليل وجد ان الطالب يفضل الاجابة باللغة العربية . . وجاء دور العلوم والرياضيات عام 1965 م فاجتزنا التجربة بالطريقة نفسها وبنجاح مذهش ، واكملنا تعريب جميع العلوم في جميع مراحل التعليم العام بالسودان . وما يجدر بنا ذكره هنا هو ما وجدناه من عون صادق من اساتذتنا العرب سواء كان ذلك باعارة الاساتذة بالسودان مدته وبوابه او تقديم منح دراسية لبعض اساتذتنا للتدريب او مدنا بالكتب اللازمة او الخبرة في مجال التعريب فتحية منا لهم حكومات وافرادا ، وهنا في هذا المؤتمر على سبيل المثال لا الحصر استاذان جليلان اديا للسودان فضلا لن ننساه نسي تعريب الرياضيات والاحصاء هما : الدكتور احمد سعيدان والدكتور عبد المنعم ناصر الشافعى فلهما ولغيرهما ممن ساعدونا كل تحية واجلال وتقدير . وبيننا الآن المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور محيى الدين صابر ، وعلى يديه عندما كان وزيرا للتربية بالسودان تم التعريب في التعليم العام وترسخت اقدامه .

ومما يجدر ذكره هنا ايضا هو الاهتمام الزائد الذى يراه السودانيون للغة الاجنبية في التعليم ، فلقد اعتنوا اثناء عملية التعريب عناية فائقة باللغة الانجليزية حرصا منهم بالا ينقلوا على انفسهم ولان تظل صلتهم وثيقة بثقافات الامم الاخرى . . بل هم ادخلوا في الوقت نفسه اللغة الفرنسية في المدارس الثانوية ايمانا منهم بأهمية اللغات الاجنبية ولانه من الاجدر الا يعتمد على لغة اجنبية واحدة . . ولاجل هذا كان تأكيد الوفد السودانى دائما في هذا المؤتمر على ضرورة الاهتمام باللغات الاجنبية في البلاد العربية.

هذا ما كان من امر تعريب التعليم العام نسي شمال السودان ، اما الجنوب فظل في ايدي المستعمرين ، لم يخلوا وراءهم يوم اجبروا على

مغادرة البلاد غير الجبل المطبق والفقر والمرضى ، وهذا لا يستغرب من الاستعمار ولكن البريطانيين زرعوا فوق ذلك الحقد الدفين على كل ما هو عربى او اسلامى ، وسيحاسبهم التاريخ على ذلك . . وكان ما كان بين شمال السودان وجنوبه الى ان ساد الصفاء والود بينهما بما يشبه المعجزة باتفاقية الوحدة في اديس ابابا عام 1971 م .

والموقف اليوم هو ان اصبحت لغة عربية دارجة هي لغة التفاهم في كل مناطق الجنوب وبها عشرات اللهجات المحلية المختلفة ، ولكن لا يتمكن فرد من قبيلة على التفاهم مع القبيلة الاخرى بغير هذه العربية الدارجة التى نشأت نشأة تاريخية بجنوب السودان . اما اللغة الانجليزية فليس لها وجود الا بين فئة قليلة من الذين تلقوا منهم تعليمهم بالكنايس .

وامر التعليم الآن في الجنوب متروك للجنوبيين ولغة التعليم العام عندهم هي اللغة الانجليزية ، ولا شك ان اخواننا العرب سيضطرون عند ما يعلموا ان الجنوبيين متحمسون لتدريس اللغة العربية في مدارسهم عن وعى وعن طوع واردة ذاتية ، فاللغة العربية أصبحت عندهم لغة اساسية في مناهجهم منذ اتفاقية الوحدة ولا يستبعد ان تحل اللغة العربية محل اللغة الانجليزية في الجنوب فيما يستقبل من الزمان .

اما التعريب في الجامعة فهو المشكلة التى تواجهنا اليوم . . والتعريب في الجامعة يحتاج الى جهود عقلية مضيئة فهو بحاجة الى اللغة العلمية لا مجرد تعريب المصطلحات . ورغم اننا مقتنسون بضرورة التعريب في المستوى الجامعى فان معنا الآن وخاصة في بعض الاقسام العلمية عدد لا يستهان به من الاساتذة غير العرب . وعدد الاكفاء من السودانيين للعمل في الحقل الجامعى كبير ولكن اكثرهم منبثون في الجامعات العربية والامريكية وبعضهم يعمل في الجامعات الغربية وكلهم يودون البقاء في الخارج اما لمواصلة البحث والاستزادة من العلم ، او لاغراء مالى . . وهكذا سيمر بعض الوقت حتى نجد الاساتذة الكافين للقيام بأمر التعريب الكامل في الاقسام العلمية بجامعة السودان .

ويلي الاستاذ في الاهمية ، الكتاب العرب بجانب المصطلحات العلمية باللغة العربية نحن في أمس

الحاجة الى الكتاب المؤلف باللغة العربية أو المترجم اليها وليت المنظمة العربية أو مكتب التنسيق تولى حملة مكثفة ومنسقة لترجمة المراجع الهامة بغية الاستفادة منها في التدريس .

ونحن هنا نرجو من الدول الرائدة في التعريب ان يمدوا جامعة الخرطوم بنسخة واحدة أو نسختين من كل كتاب تم تأليفه أو ترجمته في مادة من مواد التدريس في العلوم التطبيقية في المستوى الجامعي :

وفي جامعة الخرطوم الآن لجنتان احدهما في كلية التربية والاخرى في كلية الآداب تخططان تنفيذ امر التعريب فيهما وبدأ التعريب بالفعل في كلية الآداب بعلمى الجغرافيا والتاريخ ، وأن يتم التعريب في كل الاقسام الاخرى قبل حلول عام 1980 م وبالسودان جامعة أم درمان الاسلامية وجامعة القاهرة فرع الخرطوم تعلمان باللغة العربية ولكن تنحصر جهودهما في العلوم الانسانية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

